دراسة في إضراب الثمانية أيام 1957 وانعكاساته على تطور الثورة الجزائرية.

A study on Eight- day's strike 1957 and its effects on the Algerian revolution

د.جيلالي تكران

جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف

djilalitik@gmail.com

تاريخ الإرسال: 26 -09-2019 تاريخ القبول: 27-11-2019 تاريخ النشر:24-01-2020

الملخص:

نتناول في مقالنا هذا , التصعيد الثوري لجيش التحرير الوطني بعد قرارات مؤتمر الصومام 20-08-1956 الخاصة بخطة بعث العمل الثوري الذي شابه الفتور والجمود , وعليه دعت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الرفع من درجة العنف الثوري داخل المدن الحضرية , اقتداء بتجربة هجومات الشمال القسنطيني 20-08-1955 الذي استطاعت تحقيق التوازن ميدانيا بين عنف الجيش الفرنسي تجاه الجزائريين العزل وجيش التحرير الوطني بنقل الرعب إلى وسط المستوطنين . ومن جانب آخر , استهدفت جبهة التحرير بقرارها الخطير وغير المسبوق (العصيان المدني) 1957 , إشراك جميع طبقات المجتمع الجزائري في المدن في الإضراب الثوري , بأشكال مختلفة وتحت وصاية وتأطير التنظيمات الجماهيرية التي كانت الرافد المحوري في دعم شبكة الأفواج الفدائية وتقديم الدعم اللوجستي .

كما راهنت في جانب على تحقيق بعض الأهداف السياسية ذات البعد الدولي من خلال لفت انتباه العالم الى القضية الجزائرية باعتبارها قضية شعب يكافح من اجل تقرير المصير والانعتاق من الاستعمار وليس أزمة فرنسية داخلية حسب الدعاية الفرنسية . ولم توفر قيادة الثورة جهدا لإنضاج الشروط الضرورية لإنجاح الهبة الشعبية في الميدان , الأمر الذي سهل مهمة الجنرال ماسو وفرقة المضليين في الانتقام من الجزائريين عمالا وتجارا وموظفين ومدنيين بأساليب قمعية لا مثيل لها , أرعبت العالم ببشاعتها وخلفت امتعاضا واسعا داخل الفرنسيين أنفسهم وحلفائهم في العالم , وأهدرت في المقام ذاته انجازات عمل المجاهدون على اكتسابها وتحقيقها طيلة 22شهرا وفتحت انتقادا شديدا داخل القيادة الثورية وحتى السكان لما سببه من خسائر تفوق المكاسب المحققة , وانعكس هذا الإخفاق على مستقبل نشاط العمل الثوري في هياكله داخليا وخارجيا .

ما هدف القيادة الثورية من الزج بالأجراء والحرفيين والسكان جملة واحدة في العنف الثوري والتعجيل في التنفيذ ؟ فهل تستخلص القيادة الثورية دروسا من التجربة المرة التي تجرعتها 1957 وتعيد استحضار شروط نجاح الإضرابات مستقبلا ؟ أم أنها أدركت أهمية المجتمع المدني في إعلاء شأن القضية الجزائرية في المحافل الدولية وضرورة التمسك بها

ولكن مع وجوب إدخال تغييرات جذرية في طبيعة الإضرابات بإبعاد صيغة العصيان المدني لتجنب خسائر اكبر وإهدار مكاسب أكثر؟

الكلمات المفتاحية : إضراب ; جبهة التحرير ; الثورة , التعذيب ;القمع ; عبان رمضان ; لجنة التنسيق والتنفيذ ;الجزائريون .

Abstract :

In our article, we discuss the National Liberation Army's revolutionary evolution after the recommendations of the Soummam Conference held on 20-08-1956 , thay ordered the excution of the plan of the military action's rebirth which has been chilly and stagnant since 20-08-1955 's attacks. This action changed the revolution process upside-down between the violence of French army against unarmed Algerians, by transmitting terror among settlers. On the other hand, the Liberation Front, with its serious decision, aimed at civil disobedience, involving all the categories of Algerian society in cities, in various forms and under the the mass organizations' leadership that encouraged guerilla and provided logistical support. It also aimed at the achievement of some political goals and drew the world's attention to the Algerian people struggling for self-determination and the emancipation from colonialism and not an internal French crisis, according to French propaganda. The leadership of the revolution did not provide an effort to ripen the necessary conditions of success which facilitated General Massu to use highly forces against the Algerians workers, traders, civil servants and civil lawless repressive methods, terrified the world ugliness and left widespread resentment within the French themselves and their allies in the world, on the other side wasted , thealgerians lost many gains that achieved for 22 months ago and opened a strong criticism within the revolutionary leadership and among the population because of losses it has caused which cast a shadow on the future of the revolutionary in its structures internally and externally .

What is the aim of the revolution's leadership in bringing workers, artisans and population together in revolutionary violence and accelerating their involvement? Will the revolution's leadership draw lessons from the bitter experience of 1957 and provide the appropriate conditions for future strikes? Or has it realized the importance of civil society in upholding the Algerian issue in international forums to make radical changes in the nature of strikes by removing the civil disobedience formula to avoid greater losses and waste other gains?

Keywords : Strike; Liberation Front ; Revolution; Torture; Repression; Aban Ramadan; Coordination and execution Committee; Algerians .

مقدمة :

سارعت جبهة التحرير الوطني إلى رفع وتيرة العمليات العسكرية للضغط على الإدارة الاستعمارية والتعجيل بالمفاوضات حول استقلال الجزائر , بتوظيف المنظمات الجماهيرية كالاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد العام للتجار الجزائريين وبقية التنظيمات الحرفية والمهنية والطلابية , كوسيلة ضغط سياسية سلمية ميدانية داخل المدن الجزائرية وفي المهجر , لإثبات شعبية الثورة التحريرية وشموليتها وشرعية جبهة التحرير في قيادة الكفاح الوطني , من خلال شن إضراب وطني شامل لمدة ثمانية أيام , يكتسي طابع العصيان المدني بمظهر الإضرابات السياسية (الإضراب

الثوري) في مناسبات وطنية أو دولية والاستقراء بالمجتمع المدني في الداخل والخارج ضد آلة القمع الفرنسية , في صورة يمتزج فيها الانسجام بين القيادة الثورية و الشعب الجزائري التواق إلى الحرية وتقرير المصير .

1- السياق العام لإضراب الثمانية أيام 1957 :

جرى التفكير في هبة شعبية ضمن مواءمة ظروف محلية ودولية , كان لها الأثر البارز في تجديد العنف الثوري ورفع صدى الكفاح إلى آذان العالم مستفيدين من تراكم بعض العوامل التي ساعدت على تجدد الكفاح المسلح بعد

إقحام الشعب في الثورة من خلال هجومات الشمال القسنطيني 20-08-1955 تلاه في العام المقبل انعقاد مؤتمر الصومام في الذكري الأولى لانتفاضة الشمال القسنطيني 20-08-1956 والتوصيات الخاصة بضرورة تصعيد العمليات العسكرية داخل المدن الجزائرية على غرار وضع القنابل في الأماكن العامة التي يرتادها المستوطنون ابتداء من خريف 1956 , ونفس الأمر تم تنفيذه في فرنسا ضد المصالية لتثبيت سلطة فدرالية جبهة التحرير في المهجر وسط الجالية الجزائرية .و تحديد تواريخ معلمية للأحداث التاريخية للقيام بتلك المظاهرات ك: 05 جويلية و 14 جويلية في فرنسا و01 نوفمبر , أو القيام بالمظاهرات لمدة 24 ساعة عقب القرصنة الجوية الفرنسية واعتقال فرنسا للقادة الخمس للثورة في الخارج في 22-10-1956[1] .

رد الجزائريون على تلك القرصنة بتدبير عملية الاغتيال ضد رئيس فدرالية رؤساء بلديات الجزائر العاصمة روجي فروجي حيث سادت حالة الهلع عقب تشييع جنازته وسط المستوطنين وأثار مقتله ردودا عنيفة ترجمت بقتل الجزائريين بصورة بشعة وعشوائية , إذ تم إلقاء كل من كان على الطريق الرابط بين ساحة الشهداء وحديقة صوفيا الى الأسفل من رصيف الميناء بطريقة همجية ووحشية وإقدام الجيش الفرنسي على تفجير مقر الإتحاد العام للعمال الجزائريين في 30-06-1956 واعتقال أعضاء الأمانة الأولى ومناضلين آخرين.

من جانب اخر تضايقت جبهة التحرير من الصراع على المواقع مع الحركة المصالية في مدينة الجزائر والقبائل والجنوب (بين الجلفة –بوسعادة-قصر البخاري) , و نفس الصعوبة واجهتها في فرنسا أين هيمنت المصالية على الجالية الجزائرية بين 1954-1957. وما زاد الأمر خطورة تبني جاك سوستيل لسياسة التفاوض على طاولة مستديرة تجمع المصالية والحزب الشيوعي الجزائري الى جانب الجبهة التحرير الوطني [2] .

اما دوليا , فقد وقعت مصر تحت ضربات العدوان الثلاثي في 29-10-1956 عقب تأميم قناة السويس من قبل جمال عبد الناصر والذي حرم الدول الغربية من مكاسب مجانية كانت تستغلها طيلة عقود من الزمن . وفي البعد الإقليمي عجلت فرنسا بالمفاوضات الفرنسية مع المغرب وتونس وإعلان استقلالهما وتأثير ذلك على الجزائر لوجستيكيا وسياسيا وعسكريا لتنفرد بالجزائر وتقوم بتحييد البلدين تحت الضغط والمساومات أو إعادة الاحتلال وضمن هذا الجو المضطرب محليا وإقليميا , قررت قيادة الثورة الداخلية تجديد الثورة وإعطائها نفسا جديدا للفت أنظار العالم وتحقيق مكاسب سياسية على الخصم .

2- المشاورات و اتخاذ القرار :

ضمن هذا المناخ دارت مناقشات مستفيضة بين علي يحي عبد النور وأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ حول أمر الإضراب المزمع إعلانه في بداية 1957 في بيت فاطمة عصمان وأكد علي يحي عبد النور (ولد بالقبائل , تلقى تعليمه الثانوي بالبليدة وتوظف في مصلحة الشؤون الاجتماعية لميناء الجزائر ونشط في الكونفدرالية العامة للشغل CGT ,

انضم الى جبهة التحرير 1954 وبالتعاون مع عبان رمضان انشأ رفقة آخرين الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24-02-1956 وكلف بالميزانية في الأمانة الوطنية الأولى) في حديثه مع الجهاز التنفيذي للثورة أن الإضراب الثوري الناجح هو الذي يستوفي بعض الشروط الموضوعية الضرورية وهي – حسب وجهة نظره - لم تتوفر بعد في ظل اللاتكافؤ في القوى بين جبهة التحرير الوطني والجيش الفرنسي وعليه يجب أن يكون الإضراب لمدة أربع وعشرين ساعة أو ثماني وأربعين ساعة كحركة استعراضية تكون محددة المجال (العاصمة فقط)[3] لإظهار ثقة الشعب الجزائري في الجبهة مقدما حججا إلى محاوريه- كريم بلقاسم وعبان رمضان- وتحفظاته على مدة الإضراب الذي تداول الأمر بمدتها إلى عدة أيام حسب رأي لجنة التنسيق والتنفيذ , مستشهدا بالواقع المعيش من أن الجزائريين الذين يشتغلون في المؤسسات الفرنسية , لا يتبوءون مناصب المسؤولية في دواليب الاقتصاد وعددهم ضعيف في بعض القطاعات وإطالة مدة الإضراب قد يؤدي إلى نتائج عكسية ويظهر الجدول الأتي كنموذج للتفاوت العددي للعـمال في القطاعات بين الأوربيـــين والجزائريين في الجزائر سنة 1957[4] :

القطاعات	العمال الأوربيون	العمال الجزائريون	نسبة الجزائريين الى الأوربيين
البريد والمواصلات	9148	900	% 08.95
الجمارك	640	60	% 08.57
البنوك	1477	23	% 01.53
الغازوالكهرباء	3306	988	% 23
مراكزالتكوين	8700	2900	% 25

فالنسب المئوية لعدد الجزائريين إلى الأوربيين يظهر ميزان القوة لديهم ضعيفا جدا ولا يمكن أن يؤثر إضراب العمال الجزائريين على سير المؤسسات إن لم نقل أن تحركهم أشبه بالمغامرة , ويذهب ياسف سعدي في نفس الطرح في شهادته حول الإضراب لكنه يعترف ضمنيا بالمخاطرة قائلا " إن ضعف قوتنا البشرية والمادية مقارنة بالجيش الفرنسي لا تسمح لنا بتأجيل عمل قوي وعنيف وهل من الأفضل قتل عشرة أعداء في مكان ناء لا يتكلم عنهم أحد أم قتل أوربي واحد في العاصمة تتكلم عنه الصحافة الأمريكية في حينه " [5] .

أما عبان رمضان فله نفس الفكرة في رد على مقترح علي يحي عبد النور قائلا إن المنظمات الجماهيرية تابعة للجبهة وطبقا لذلك عليه أن تطبق أوامر الجبهة دون مضض وهذا يعكس مدى التهور عند بعض مسؤولي الجهاز التنفيذي للثورة في تقدير الأبعاد الخطيرة التي يمكن أن تترتب عن شن إضراب ثوري دون توفير الشروط الموضوعية لنجاحه أو النصر بأقل الخسائر لكن رؤية هؤلاء كانت مشدودة إلى تنفيذ الأوامر فقط[6] .

لقد اتخذ قرار الإضراب في الأيام العشر الأولى من شهر نوفمبر 1956 , وكان الهدف من هذا القرار الخطير هو تنظيم احتجاج غير مسبوق , للفت الرأي العام الدولي إلى القضية الجزائرية , بمناسبة انعقاد جلسة الجمعية العامة في دورتها الحادية عشرة في 10ديسمبر 1956 , والتعويل على دعم الكتلة العربية-الأسيوية وليس الكتلة العربية- الإفريقية بحكم أن اغلب دول هذه الأخيرة تحت أشكال مختلفة للاستعمار الأوربي أما في المشرق العربي فهي دول مستقلة يعول عليها في دعم الثورة التحريرية .

يذكر ياسف سعدي بشأن تحديد تاريخ إعلان الإضراب أنه تم اقتراح الأول من شهر فيفري 1957 لتمكين الموظفين من تلقي رواتبهم لشهر جانفي قبل الدخول في إضراب لكن إذاعة صوت العرب بالقاهرة عجلت بإذاعة تاريخ بداية الإضراب يوم 28-01-1957 , و لا ندري الأسباب التي جعلت الإذاعة المصرية تعلن الإضراب على أمواجها دون الرجوع إلى الجهة التي تسلمت منها نداء الإضراب , فهل هناك أطرافا حاولت خلط الأوراق للجنة التنسيق والتنفيذ والتي أصبحت محل جدل وخلاف كبيرين - عقب المؤتمر الذي انبثقت عنه 20-08-1956 - بين الداخل والخارج وعدم رضى القيادة المصرية عن القيادة الجديدة في الداخل وعلى رأسهم عبان رمضان الذي دخل في سجال عنيف مع الوفد الخارجي وعلى رأسهم احمد بن بلة والذي بدوره تربطه علاقة قوية بجمال عبد الناصر مما يوحي إلى وجود أمر ما في العجلة في الإعلان عن الإضراب من قبل الإذاعة المصرية , قد دفع هذه الجهات المصرية الرسمية أو غير الرسمية إلى الإيعاز باذاعة بيان الاضراب لإرباك القيادة الداخلية للثورة التي لم تكن محل قبول من جمال عيد الناصر مطلقا والاعتراض على مبدأ أولوية الداخل على الخارج . فما كان على قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ سوى تأكيد الخبر والانطلاق في الإضراب[7] دون تأخير , و قد تراءى أن يكون الإضراب يتميز بخاصيتين هما :

أ- أن يدوم الإضراب ثمانية أيام .
ب- أن يشمل الإضراب الجزائر و خارجها في كل من فرنسا و تونس , المغرب و مصر .

و اتخذ القرار بمقر قيادة لجنة التنسيق و التنفيذ في شارع صالح بوعكوير - تيليملي سابقا- رقم 133 حيث جاء في الأوامر الداخلية لجبهة التحرير الوطني أنه بمناسبة مناقشة هيئة الأمم المتحدة القضية الجزائرية , على الشعب الجزائري أن يعلن مظاهرة للتعبير عن إرادته في الحرية والاستقلال من خلال الإعلان عن الإضراب لمدة ثمانية أيام ابتداء من 28-01-1957الى 04 -02-1957في كامل التراب الوطني وفي المهجر بمشاركة جميع الطبقات الاجتماعية[8] .

3- الغايات المستهدفة ..... وسير حركة الإضراب : سطر أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ أهدافا عاجلة وأخرى آجلة يغلب عليها طابع الأمل في التجسيد في ظل غياب الإمكانات وعدم نضج الظروف الضرورية والمواتية لنجاحه وهذه الأهداف هي :

- ✓ إظهار التلاحم بين الشعب الجزائري و ممثله الوحيد والشرعي جبهة التحرير الوطني وتفنيد إدعاءات فرنسا بأن الثوار مجموعة تخريبية لا علاقة لهم بالشعب [9]. ولعل هذا الشكل من الكفاح هو من يجعل التضامن امرأ واقعا وليس خيارا كحالة السلم , إذ يدفع فيه السكان الى ضرورة الالتزام بأوامر النظام الثوري وإلا عرضت مخالفها إلى العقاب , لانه في المعارك الحاسمة والأخلاقية يقتضي الوقوف مع الثورة والوطن ضد الخصم وتكون على حساب الطموح الذاتي , وهي القاعدة التي ذابت فيها الذاتية والفردانية داخل الجماعة والمجتمع لأجل الاستقلال .
- ✓ تحقيق القطيعة النهائية بين الشعب الجزائري والنظام الاستعماري الفرنسي مما يؤشر على أن الإضراب سيكون على شكل عصيان مدني وليس إضراب مهني لقطاعات إنتاجية . وقد ذكر محمد حربي في كتابه " الجزائر سنوات المخاض "انه من بين الإستراتيجية العامة التي سطرت في الاجتماع الأخير للمجموعة المفجرة للثورة هو التأكيد على ضرورة توسيع اللاأمن والعصيان المدني لإحداث القطيعة مع الإدارة الاستعمارية وفي ذات السياق العمل على إرساء مؤسسات الجبهة تكون بديلا تعنى بشؤون الجزائريين الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الشخصية والعدلية .
- ✓ إعطاء القوة لمندوبي الجبهة في هيئة الأمم المتحدة , الفرصة لإقناع دبلوماسيي الدول الأجنبية لإزالة الغموض حول الثورة , الذي ساهم الإعلام الفرنسي في تسويقه بين دول العالم مستغلا فتور العمليات العسكرية اللافتة للقضية

الجزائرية , وفي تصعيدها يتم وضع الدول الصديقة والحليفة والمحبة للسلام أمام الأمر الواقع حول مساعيهم الخطابية في دعم حقيقي للثورة و فضح سياسة فرنسا الاعلامية المظللة للعالم في تشويه الحقائق الميدانية .

- ✓ إشراك طبقات اجتماعية جديدة في عمل ميداني و عنيف ضد الاستعمار و الذي لقي لدى بعض العناصر التعاطف و التضامن لتعزيز قوة الثورة .و يعتبر هذا القرار من توصيات مؤتمر الصومام الداعية الى ضرورة إشراك جميع فئات المجتمع الجزائري في الكفاح بطرق مختلفة داخل المدن , وعليه كان الإضراب الثوري 1957 بمثابة التجسيد الميداني لتلك القرارات الهامة في تصعيد العمل العسكري في الجزائر والمهجر .
- ✓ التجديد الحقيقي للتجربة الأولى (هبة نوفمبرية جديدة) من أجل الثورة العامة والشاملة باعادة بعث صدمة قوية ومدوية في نفوس المستوطنين والارتباك في الإدارة الاستعمارية لزعزعة عزيمة الخصم والنيل منه , والتركيز على الدعاية الإعلامية بمختلف أنواعها .

وجهت القيادة الثورية تعليمات إلى الشعب الجزائري والعمال و التجار والموظفين للالتزام بها تخص التدابير الواجب اتخاذها قبل موعد الإضراب [10] بدعوة عمال الداخل بالذهاب إلى قراهم والتزود بالمؤونة لمدة عشرة أيام وغلق التجار لمحلاتهم و و هجرة عمال الميناء لعملهم وورشاتهم و توقف عمال الإدارة , الفنادق , الترامواي , القطار عن العمل . ولنشر هذه التعليمات على نطاق واسع أصدروا عددا خاصا لجريد " العامل الجزائري " يتضمن نداء الإضراب باللغة العربية والفرنسية [11].

بدخول الإضراب مرحلة التنفيذ انقطعت الحركة داخل المدن عبر الوطن وأصبحت مدنا ميتة و انعدمت فيها الحركة إلا من الجيوش الفرنسية التي تجوب شوارعها وأعوانهم من الفرق الأمنية الأخرى للترقب وانتظار الأوامر. وكلف الاتحاد العام للعمال الجزائريين بعض العناصر :محي الدين بوروبية ومحفوظ زفوني [12] ونسيمة حبلال (أمينة عبان رمضان بمدينة الجزائر بين 1955-1956 من العناصر المهمة في الأمانة الإدارية للاتحاد العام للعمال الجزائريين عند نشأته , أوقفت وعذبت 1957 وبعدها اتجهت إلى فرنسا ونشطت في السرية في الودادية العامة للعمال الجزائريين ثم أخيرا انتقلت إلى تونس) بإعداد المناضلين للإضراب ونسخ المناشير الإعلامية في سنما "أوديون Odéon" حاملين آلات الطبع والنسخ وتوزيعها داخل مدينة الجزائر [13]داعين زملائهم إلى مغادرة الورشات والمصانع وتعليق عملهم ودعوة العمال الأوربيين إلى تفعيل التضامن النقابي والأخوة العمالية وأن الإضراب ليس موجها ضدهم بل إلى مسؤوليهم وحكامهم والى المستوطنين المتطرفين .

4- ردود الفعل الفرنسية على الإضراب الثوري :

توعد الجنرال ماسو (Massu) المضربين والقائمين على تسييره بالقول " سوف تفتح المحلات بالقوة وسلامة السلع غير مضمونة " في إشارة منه إلى تنفيذ سياسة السلب لكسر الإضراب واستباحة محتوياتها ولا سبيل بعد ذلك لتقديم شكاوى أو احتجاج وصرح قائلا " إن الهدف الذي كلفتني به الحكومة هو إفشال الإضراب العصياني واعتراض مراحل سيره : التحضير , الإعلان , الانطلاق , التنفيذ والنتائج " [14]وهذا يتطلب حسبه الحضور والعمل أسبوع قبل 28-01-1957 لإيقاف أكبر عدد ممكن من الذين أعطوا الأوامر أو الذين عملوا على نشرها وإذاعتها قصد الوصول إلى المعلومة " وتم تحويل نحو ألف من العناصر المعروفة بمعاداتها لفرنسا لدى الجهات الأمنية ونقلها بالشاحنات إلى خارج مدينة الجزائر ليسهل تفكيك البنية السياسية والإدارية لتنظيم جهة التحرير الوطني داخل المدينة .

في اليوم الأول والثاني والثالث من الإضراب , استطاعت قوات الجنرال ماسو (Massu) الحصول على عناوين عمال السكة الحديدية وعمال الغاز والكهرباء والبريد والمواصلات والسعي للبحث عنهم وجلبهم بالقوة إلى مواقع عملهم

بعد بلوغ الإضراب نسبة مرتفعة في القطاعات الحساسة , وبات الأمر مقلقا للسلطات الفرنسية في الجزائر فعلى سبيل المثال : بلغت نسبة الإضراب البريد والمواصلات بمدينة الجزائر 70 % وفي قسنطينة 28 % وفي وهران 41 % أما عمال السكة الحديدية فبلغت نسبة الإضراب لديهم بمدينة الجزائر 100 % وفي وهران 50 % وفي قسنطينة 25 % [15] .ويعود سبب ارتفاع النسبة في الاضراب في مدينة الجزائر عن وهران وقسنطينة الى مدى تركيز القيادة الثورية على البعد الاستراتيجي لمدينة الجزائر ولأهمية كثافتها السكانية و قوتها الاقتصادية وكفاءة الشخصيات المهنية في تاطير حركة الاضراب لاستقطاب الزخم الاعلامي الدولي ولفت انظار البعثات الوفود الاجنبية الى القضية الجزائرية

لقد أصبحت الفرقة العاشرة للمضليين حرة في ممارسة القمع بلا حدود ضد التجار والعمال والحرفيين الجزائريين , مستخدمة عدة طرق لتكسير الإضراب وثنيهم عن الانصياع لأوامر التنظيمات المهنية وجبهة التحرير الوطني والضغط على رؤساء الورشات والمؤسسات بضرورة إلزام العمال الجزائريين بالتوقيع على أمر السخرة في مؤسسة السكة الحديدية .

رد هؤلاء العمال على ذلك الإجراء برفض توقيعه بأمر من محي الدين بوروبة(ولد 16-02-1927 بسطيف , عامل السكة الحديدية منذ 1944 , مناضل حزب الشعب ثم حركة الانتصار والكونفدرالية العامة للشغل وبعد تفكيك الأمانتين الوطنيتين الأوليتين انخرط في الأمانة الثالثة والرابعة سرا بعد جويلية 1956 وبعد الاستقلال أعاد تشكيل الاتحاد العام) فلجأت الإدارة إلى إحضار شهود أوربيين على التكليف بأمر السخرة ومنعهم من الخروج قبل الأوربيين إمعانا في الاستفزاز والاحتقار والترهيب وأن الإدارة ستطرد كل العمال المتغيبين عن وظائفهم [16] كإجراء تخويفي ضد المضربين . كما أجبر المحتجزون والموقوفون من الجزائريين تجارا وحرفيين وعمالا بمركز بن عكنون على القيام بالأعمال الشاقة والقذرة و جمع القمامة تحت حراسة شخص ببذلة رسمية وبندقية وحمل كل البضائع الثقيلة والمكدسة بالميناء على أكتاف المعلمين والموظفين [17] الذين جيء بهم من منازلهم بالشاحنات إلى مقر عملهم لإعادة الحركة المهنية جزئيا تحت الضغط والإكراه , لكن مع بلوغ درجة الإضراب قوة وانتشارا ساد القمع انطلاقا من اليوم الثالث للإضراب [18] وعرف تعميما وعنفا غير مسبوقين في الجزائر .

كما شهدت شركة السكة الحديدية ضغطا نفسيا رهيبا مورس على العمال الجزائريين المضربين عندما طالبوا بالحصول على مرتبهم لشهر جانفي 1957 فردت الإدارة " أصدقاؤكم في المحاسبة والمكلفين بعملية دفع الأجور رفضوا القيام بالعمل " بمعنى أن زملاءكم في إضراب مثلكم , إلا أن محمد درارني تدخل وصرح بأنه سيتولى العملية فيما يخص الجزائريين العاملين على مستوى الشركة " [19] , ويأتي هذا الإجراء ضمن سبل الضغط على العمال نفسيا في عدم تلقي أجورهم التي تمثل المصدر الوحيد لإعالة أسرهم ومحاولة خلق انشقاق وسط العمال وإفشال حركة الإضراب .

فاجأ الإضراب الرأي العام بمدى اتساعه والاستجابة الواسعة له من طبقات الشعب الجزائري , الأمر الذي جعل القوات العسكرية والسياسية الفرنسية تفقد أعصابها وتعمد إلى أساليب القمع بتفكيك خلايا الجبهة والاتحادات الجماهيرية وتهديم المحلات وطرد العمال من وظائفهم وتقديمهم إلى المحاكمة وتوقيف الأمانة الوطنية الخامسة للإتحاد العام للعمال الجزائريين وسجن أعضائها مع إلزام الإدارة وأرباب العمل بعدم الاتصال أو التعامل مع ممثلي الاتحاد مستقبلا [20] في إشارة إلى منعه نهائيا من النشاط ويعتبر هذا التنظيم المهني العمود الفقري الذي ارتكزت عليه الجبهة في تأطير حركة الإضراب كون منخرطيه ينتسبون الى مؤسسات خاصة أو عامة فرنسية كفيلة بتعطيل النشاط اليومي لتلك المؤسسات والورشات عكس بقية التنظيمات الأخرى الحرة كالتجار والحرفيين التي تعتبر رافدا في توسيع

حركة الإضراب الثوري ومكملا له وتفعيلا للتضامن بين كل فئات الشعب الجزائري , الامر الذي جعل السلطة العسكرية والأمنية تضعهم في الدرجة الثانية في المتابعة والملاحقة .

أما على المستوى الميداني الأمني , فقد استباحت قوة الجنرال ماسو (Massu) كل القيم الإنسانية والأعراف الدولية لبدء عمليات التعذيب , بتجنيد أعوانها وهياكلها الأمنية لتطويع الشعب الجزائري وتنظيماته المهنية (عمال , تجار , حرفيين , طلبة ......) اذ جهزت أربع كتائب مظلية (كتيبة أجنبية للمظليين 1er REP تحت إشراف المقدم Jean Pierre و كتيبة المظليين الاستعماريين 2eme RPC بقيادة العقيد Fossy – François .و كتيبة المظليين الاستعماريين eme RPC 3بقيادة العقيد Bigeard و الكتيبة التاسعة للزواف للمقدم Marey) لتمشيط مدينة الجزائر وحدها لكسر الإضراب و تفكيك الشبكة الفدائية للجبهة بالإضافة إلى ثمانية فيالق (فيالق الجمهورية للأمن , عشر فرق للدرك المستقلة , 1800/1700 شخص للوحدات ا لإقليمية للعقيد Thomazo , جنود مصالح الاتصالات و المشاة و فرق الاستخبارات العامة , الشرطة القضائية , حراس السلام الذين سيطبقون فنون البربرية والموت على السكان , واستطاعوا احتلال و محاصرة مدينة الجزائر خلال شهر جانفي 1957 .

لقد أفرطت القوات الفرنسية في استخدام القمع الوحشي و الجماعي للسكان و الإيقاف العشوائي و الحجز الإداري و التعذيب الذي خصصت له مواقع مدنية و عسكرية و تربوية و تكليف "نخبة عسكرية سادية " مختصة في فن التلذذ بآلام الضحايا . تنتشر هذه المراكز في مدينة الجزائر وضواحيها(مدرسة سوراي في سوسطارة تحت إشراف بيجار Bigeard. مدرسة الصم – البكم بتيليملي , المدرسة الابتدائية للمرادية , الأبيار , باسطا و بلوزداد و الحراش و ثكنة Fort – empereur في سكالا مخصصة للتعذيب بالنار و الكي و الشوي , ثكنة 19Régiment génie بالخروبة تحت قيادة العقداء Fossy – François و Château jobert و ثكنة الاتصالات ببن عكنون و ثكنة DST في بوزريعة وعمارة Sesini في ساحة الشهداء وعمارة Anisettes Gras في الحمامات)[21] و في بقية أرجاء البلاد مثل : تابلاط , المدية (مركز), البرواقية , شرشال , تنس , ثنية الحد وغالبا لا يتطلب تنفيذ الجريمة مكان خاص وإنما يكفي توفر الوسائل والجلاد لتجري العملية في عين المكان وهو ما يتناسب مع تصريح ماسو (Massu) قبيل انطلاق الإضراب قائلا " إن غرض الإضراب ليس الدعوة إلى مظاهرة صامتة وإنما فتح المجال لمختلف الأعمال العدائية وخلق رد فعل يجعل المتمردين يبدون كأنهم شهداء والاعتقاد بهيمنة الجبهة على السكان أمام العالم " [22].

من جانب آخر , أقدمت فرقة المضليين على جملة من التدابير الهادفة إلى تكسير الإضراب وثني الجزائريين عن مواصلته بإذاعة بيانات زائفة ودعائية من إذاعة سرية مزيفة " صوت الجزائر الحرة المجاهدة " تقليدا لإذاعة الجبهة " إذاعة صوت الجرائر الحرة المكافحة ", كما تم توزيع مناشير تحمل صور العلم الوطني تدعوا السكان إلى وقف الإضراب مدعومة ببلاغات لاذعة رسمية تتوعد الجزائريين المضربين بأشد العقوبات ونفس العملية تولاها الجيش بالدعاية بمكبرات الصوت والقاء المناشير على أحياء القصبة بواسطة المروحية داعيا سكانها إلى عدم الاستجابة للإضراب وإطاعة أوامر الجيش الفرنسي وكتب في هذه المناشير بتاريخ 28-01-1957 : **طلبت جبهة التحرير غلق المحلات . جبهة التحرير الوطني تريد تجويعكم ودفعكم إلى الغبن .لكنكم أنتم سكان مدينة الجزائر لا تريدون ذلك , ثقوا في قوات حفظ النظام العام** . وفي مناشير أخرى ليوم 29-01-1957 جاء فيها : **يوم الاثنين 28 جانفي فشل آخر لإضراب جبهة التحرير الوطني , تحدوا أوامر الجبهة بالعودة إلى العمل والتي لا تجلب لكم سوى الشقاء "**[23]

لقد حاولت القوات الفرنسية تأليب سكان مدينة الجزائر على الجبهة وعصيان أوامرها إذ ورد في منشور آخر ليوم 31-01-1957 " **بعد فشل جبهة التحرير الوطني في الجبال ها هي اليوم تفشل في المدن عليكم بإخراج " القتلة**

والكذابين من المدينة (الجزائر) " [24] وأقدمت أجهزة ماسو (Massu) على جر بعض المارة من أساتذة ومحامين وموظفين إلى جمع القاذورات والقمامة وإفراغها في الشاحنة المخصصة لها يقودها سائق أوربي تحت حراسة عسكرية وعاد بعض العمال والموظفين تحت الضغط إلى العمل يوم 30-01-1957 تنتظرهم شاحنات الجيش ولم يعد مطلوبا قرع الأبواب واقتحام البيوت سببا لعودة المضربين لأن العوز الغذائي دفع بـ:530 عاملا بالميناء و800 موظف إلى استئناف العمل وعودة 1500 عمال إلى مناصب عملهم في اليوم الخامس للإضراب وهو الهدف الذي حققه ماسو (Massu) حسب جريدة Le Monde : إن الجنرال Massu حقق هدفين هما :

1- ضمان العودة التدريجية للعمال والموظفين الذين يرتبطون لزوما بمؤسسات حكومية أو خاصة . 2- تجنيب التصادم بين المجتمعين الاوربي والجزائري[25] ولسنا ندري أين توجد هذه "الأخوة " التي يحافظ ويخشى عليها الجنرال "ماسو " من الانهيار بعد ثلاث سنوات من القطيعة بلا رجعة .

5-انقشاع غبار المعركة وكشف الحصيلة :

أجمع مهندسي إضراب الثمانية أيام 1957 سواء من جانب لجنة التنسيق والتنفيذ أو من جانب الاتحادات المهنية والجماهيرية على بلوغ الإضراب السياسي السلمي مراميه المحددة , دون غض الطرف عن تسديد كلفة مرتفعة من القمع الشامل الذي هز هيئة الأركان المديرة للثورة في الداخل وغيرت العديد من المعطيات السياسية والعسكرية والاجتماعية للكفاح الوطني , وبدأت مرحلة جديدة للنضال على المستوى الدولي انطلاقا من تونس والقاهرة , وقد بلغ صدى الإضراب الساحة الإعلامية الدولية التي وجدت فيها فرنسا نفسها أمام حالة لم تعهدها من قبل وعبرت عن ذهولها لقوة تجاوب الاتحادات الجماهيرية و الشعب الجزائري لنداء لاضراب الذي دعت اليه جبهة التحرير .

كتبت جريدة Le Monde الصادرة يوم 29-01-1957 تقول " صمت رهيب يخيم على مدينة تكاد تكون مكفهرة تحت شمس شديدة الإشراق , لقد اندلع في هذا الصباح صدام قوي في الجزائر حيث بدأ الإضراب لمدة ثمانية أيام الذي أمرت بت جبهة التحرير الوطني المسلمين الجزائريين , يبدو أن المدينة لم تستيقظ بعد . إن الصمت ساد الأحياء الموجودة بمركز المدينة لكن المتاجر الأوربية فتحت أبوابها كالعادة ولم يعكر الصمت في مداخل القصبة والشوارع المجاورة إلا الضجيج المدوي للمقالع الحديدية التي كان يستعملها الجنود لفتح أبواب المتاجر أو تحطيمها .إن التجار المسلمين قد استجاب غالبيتهم إلى أمر الإضراب ... وفي الثامنة والنصف كانت الضربات الأولى لمقالع الحديد تقطع ذلك الصمت ... لقد أضرب التجار المسلمون وأضرب زبائنهم أيضا عن الشراء بدورهم يوم 30 جانفي وفي 31 جانفي استؤنفت عملية تكسير المتاجر وشرعت الدوريات في إعطاء الأوامر ونشر النداءات تدعوا العمال والسكان للالتحاق بأعمالهم وإلا فإنهم سيتعرضون للعقوبات بالسجن ومع ذلك فإن القليل منهم التحقوا مكرهين بوظائفهم وظل عدد المضربين مرتفعا رغم الإجراءات المتخذة ضدهم .إن الجزائر في هذا اليوم ظلت مدينة صامتة واختفى سكانها المسلمون وفي 02 فيفري رغم جهود السلطات لإرغام العمال والموظفين على الالتحاق بعملهم فإن مقاومتهم ظلت مرتفعة وامتنعوا عن ذلك واكتفوا بالتجول في الشوارع دون هدف ... ولكن نسبة الإضراب بقيت مرتفعة وأن الإضراب قد أحترم بدقة "[26].

علقت جريدة " فرانس اوبزرفاتور France Observateur " عن الإضراب بالقول " لقد نجح الإضراب فعلا بنسبة 99 % في الإدارة والمصالح العامة الكبرى كالنقل والبريد والنشاطات التجارية وأسواق الحيوانات , إن الأحياء القريبة من المدينة العربية لم يتجرأ الأوربيون على الاقتراب منها . واكتفت وحدات الجيش بتدمير واجهات المحلات ونهب محتوياتها .

وفي وهران , تلمسان , سيدي بلعباس ومستغانم كانت اغلب المتاجر مغلقة وفي قسنطينة , ساد إضراب عام وشامل رغم التهديد بالعقوبات الصارمة ضد الموظفين ".

كتب مراسل الصحيفة الأمريكية " وكالة أسوشياتيد برسAssociated Press" لم أر في حياتي مدينة يخيم عليها شبح الموت في وضح النهار كالقصبة التي أقفلت شوارعها ورهبة السكون العميق يخيم على دورها كأن سكانها في سبات عميق " [27].

اما المرتاحون لنتائج الإضراب , فيسردون عدة مزايا تحققت غداة الإضراب الشهير 1957 نوردها فيما يلي:

- استجابة الجماهير الشعبية لنداء جبهة التحرير الوطني وتعلقهم بالاستقلال الوطني وتفنيد الجزائر فرنسية .

- جبهة التحرير الوطني هي الممثل والمفاوض الوحيد والشرعي للشعب الجزائري و المنظمات الجماهيرية هي الممثل الشرعي والوحيد لكفاح الشعب الجزائري لقطع الطريق على دعاوى الطاولة المستديرة التي تقف ورائها الحكومة الفرنسية بالزج بالحركة المصالية ونقابتها والقوة الثالثة لتكون طرفا ثالثا فيها لعزل جبهة التحرير ونزع الشرعية عنها [28]

- تغيير الرعب لمواقعه , بنقل الحرب من الجبال والأرياف إلى المدن بإشراك سكان المدن الجزائريين في الكفاح ضد المستعمر والمستوطنين وتخفيف الضغط عن سكان الريف بعد أن تحملت الأرياف عبء الثورة وحدها لفترة طويلة.

- توسيع أعمال القمع من طرف قوات الجنرال ماسو (Massu) قد وحد الشعب الجزائري على كلمة واحدة في عداوته للمستعمر وأنه مستهدف في وجوده .

- تمكن الرعب من المستوطنين الذين هالهم الالتزام التام لفئات الشعب بأوامر جبهة التحرير الوطني وتبلور معالم الحرب الحقيقية وتباعد المجتمعين عن بعضهما البعض إلى الأبد وشعورهم باليأس والإحباط التام من غياب الأمن حتى داخل المدن وتحقيق القطيعة النهائية بين الشعب الجزائري والسلطات الفرنسية[29].

- تعرية سلوك فرنسا القمعي في الجزائر وكشف فضائحها و فظائعها في حقوق الإنسان من طرف مراسلي جرائد فرنسية وأجنبية الذين تابعوا تطورات الإضراب في مدينة الجزائر [30].

- تعزيز دور الوفد الدبلوماسي للثورة التحريرية في دعوة إلى العالم إلى الاعتراف بحقيقة كفاح الشعب الجزائر في تقرير مصيره و إفتكاك الاعتراف الدولي المتزايد به [31] .

وفي الجهة الاخرى يرى "المستاؤون " من التبعات السلبية للاضراب التي مست العديد من المكاسب التي حققتها الثورة خلال كفاحها 1954 -1956 من وجهة نظر تقييمية لطريقة الكفاح والتوظيف السياسي للتنظيمات الجماهيرية والشعب الجزائري في إضرابات سياسية وفق نظرة أحادية لا تتعاطى مع تنوع الطرح والتوافق وتوسيع الاستشارة في إعطاء البديل وأن أبعاد الإضراب لم تتكشف دفعة واحدة بل تدريجيا عندما زال دخان المعركة وهدأ الحماس الثوري ومن داخل لجنة التنسيق والتنفيذ يقول بن يوسف بن خدة " أنه بعد 48 ساعة من بداية الإضراب , تغيرت الحالة جذريا و فقدنا المبادرة بفعل تدخل قوات ماسو , بيجار (Bigeard) و قودار(Godard) و أخذت فراغا من حولنا " .

اما الحزب الشيوعي الجزائري فقد وصف ذلك الإضراب بالمغامرة وتعريض الشعب إلى الموت بطريقة انتحارية وتهورية . وفي بيان له حول الإضراب جاء فيه " لا للإضراب إنه غير مفيد وبفضل الإتحاد السوفيتي وهيئة الأمم يمكننا

طلب الحصول استقلال الجزائر . إن الإضراب غير عادل لأنه يجوع الشعب في حين أن البورجوازية تزودت بالمؤونة في وقت سابق وملأت خزائنها , إن جبهة التحرير أصبحت بين أيدي عصابة طموحة لخدمة نفسها أكثر من خدمة الشعب الجزائري .إن لحزب الشيوعي الجزائري هو المؤهل لقيادتكم إلى الاستقلال اتبعوا الذين يقودون الثورة العالمية الكبرى ويقودونكم إلى السلم "[32] . رغم أن الحزب الشيوعي الجزائري قد حلته السلطات الفرنسية في 13-09 -1955 ووقع اتفاقا ثنائيا في 01-07 - 1956 مع جبهة التحرير يخول له الانخراط في الثورة التحريرية دون التنازل عن إيديولوجيته , إلا أن هذا الحزب لم يستطع التخلي عن نقده اللاذع لكل الخطوات التي اتخذتها الجبهة رغم ان العديد من مناضليه ضمن التنظيمات الجماهيرية كقياديين والبعض الآخر مناضلين محنكين في الممارسة النقابية , لكنه تجرأ مرة أخرى في تصفية حساباته التقليدية مع التيارات الوطنية كلما واتته الفرصة لذلك من خلال تأليب الجماهير العريضة من البسطاء ضد القيادة التي ينعتها بالبورجوازية لإحداث صراع الطبقات حسب فلسفته ويراهن على القطب الشيوعي وهيئة الأمم لتمكين الجزائريين من الاستقلال ؟ .

أما النقابي مصطفي زيتوني – أحد إطارات الاتحاد العام للعمال الجزائريين- الذي كان الواجهة الرسمية للإضراب وأداته التنفيذية - يذكر بشأن إضراب 1957 " لقد فتر حماس الشعب نسبيا بسبب الحرب النفسية – بعد القضاء على الثورة ومسؤوليها بمدينة الجزائر – ورفض الشعب دفع الاشتراكات أو الإعانات لأسر الشهداء والسجناء " اغتيال العديد من النقابيين والمناضلين [33] والبعض الآخر اقتيد إلى السجون أو التحقوا بالجبال (دكار رحمون وعبد القادر علال فروا الى ضواحي البليدة – المدية) وقبض على نور الدين سكندر , ونجح جيلاني أمبارك في التسلل الى مرسيليا ,أما الباقون , أصبحوا مشبوهين ولا يمكن ضمان مكان آمن لهم لمدة طويلة في محرقة مدينة الجزائر وأصبحت عملية تهريبهم إلى الخارج أمرا لا مفر منه عن طريق البواخر بمساعدة العمال الجزائريين سرا أو باستخدام جوازات سفر مزورة . ودخلت أمانة الاتحاد العام السرية بهيئة جديدة على رأسها مصطفى الشيخ , علي عروة , عبد المجيد شريخي , أحمد حليم , محمد شناف و علي رملي مع تغيير مكان الاجتماع إلى 8 شارع سولفيرينو وأبلغ أحمد غرمول أعضاء الأمانة بالعمل بتوصيات لجنة التنسيق والتنفيذ لإظهار أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين مازال يعمل من خلال كتابة التقارير بالعربية وتخصيص صندوقي رسائل لدى المناضل مختار بوعزيز ومحل محمد لبجاوي . واستطاع الأمناء السريون الحصول على ختم الحكومة العامة حيث أرسلوا تقارير ومناشير إلى باريس عن التعذيب في الجزائر وتمكين الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة من تقارير مماثلة لإدانة الحكومة الفرنسية في المحافل الدولية كما حذر محمد شناف[34] الكونفدرالية الدولية المذكورة سابقا من التقارير المزيفة باسم الاتحاد العام للعمال الجزائريين ترسلها مصالح حماية الإقليم (DST)[35] كما قدمت تلك النقابة تقريرا الى منظمة العمل الدولية في 15-02-1957 نددت فيه بحملة القمع الجنوني الذي سلط على النقابيين والعمال الجزائريين وطالبت بـ:

- وقف عملية المصادرة المتكررة لجريدة " العامل الجزائري " لسان حال الاتحاد العام للعمال الجزائريين .
- التوقيف المتكرر للعمال والطرد التعسفي انتقاما منهم على الإضراب السابق .

كما طالبت بالاسراع في اعادة دمج العمال الموقفين تعسفيا والمحاكمين ظلما وعدوانا من مؤسسات مهنية مختلفة والغاء الاحكام الصادرة بحقهم فورا , نذكر منهم الحالات التالية :

- 5/4 من عمال السكة الحديدية , ¾ المعلمين أوقفوا عن العمل وسلطت عليهم إجراءات قاسية .
- محاكمة 183 موظف حكومي بعقوبات تتراوح ما بين 08- 15 سنة سجنا .
- أما عمال القطاع الخاص فتم طردهم وعقابهم دون رحمة [36] .

- تسريح 80 % من عمال السكة الحديدية و 50 % من عمال التجارة و240 عون من المستشفيات وتسريح 2000 عامل بالمصانع والتجارة و183 عامل عوقبوا بالتسريح بين 8-15 يوما [37].

فيما يخص التبعات التي مست الثورة فانه تم تفكيك النظام داخل مدينة الجزائر, الذي سيطرت عليه الجبهة والتنظيمات الجماهيرية خلال الإضراب , بواسطة استخراج المعلومات عن طريق الاستنطاق والاعتقال والدعاية بواسطة راديو الجزائر والتلفزة والصحافة وبالسيارات التي تجوب شوارع المدينة بمكبرات الصوت وتوزيع المناشير تدعوا الجزائريين إلى الاستسلام .

لا شك أن ما خفي كان أعظم , إذ يذكر ياسف سعدي عن تبعات الإضراب " أن ¾ من قواتنا المسلحة تم القضاء عليها وتقليص منظمتنا السياسية وأن الهرم العسكري المكون من عشرات الرجال المسلحين والذي تطلب مدة طويلة لتشكيله قد قضي عليه خلال أسبوع والذين نجوا فروا إلى الجبال هربا من القمع أو لجأوا إلى دول آمنة لكن بقاء المحلات التجارية وفرت شبكة سرية للاتصالات"[38] لبعث شبكة الفدائيين من جديد .

لعل أهم ضربة تلقتها الثورة التحريرية غداة الإضراب هي خروج لجنة التنسيق والتنفيذ والقبض على أحد أعضائها العربي بن مهيدي في 23-02-1957 وانتقالها إلى تونس وتم حز رأس الثورة في الداخل والتحاق هيئتها التنفيذية بالخارج , بعد أن ألقي القبض على الوفد الخارجي سابقا في 22-10-1956 وترك ذلك فراغا رهيبا في الجزائر ومن يمكنه تسير الكفاح وكيف تتم الاتصالات والتنسيق بين قادة الولايات وبين الجهاز التنفيذي بعد مغادرة الجهاز التنفيذي للتراب الوطني . وهو ما جعل مكاسب الإضراب مثارا للجدل وأحيانا تسليط انتقاد لاذع للقرار المتسرع للإضراب , وتضاءلت في عيون هؤلاء مكاسب الإضراب وبرزت مساوئه وكيف السبيل لبعث التنظيم الثوري من جديد؟. وهذا ما سيخلق مصاعب إضافية للثورة على المستوى الهيكلي والإجرائي وأزمة بين الداخل والخارج ستؤثر حتما على الأداء الميداني في جميع المجلات وستلقي بظلالها على الجزائر المستقلة .

يورد محمد حربي وثيقة في كتابه أرشيف الثورة الجزائرية توحي من خلال بعض الكلمات المفتاحية أنها صادرة عن المكتب السياسي للحركة المصالية التي وجهت انتقادا قويا لجبهة التحرير في إعلانها إضراب الثمانية أيام 1957 تقول : "إن جبهة التحرير الوطني لم تفكر في نتائج الإضراب وهي من دفعت الجماهير الشعبية إلى إضرابات متتالية ومستمرة لفئات مختلفة من التلاميذ والطلبة والتجار , والإضراب عن قراءة الصحف الفرنسية وهي حركات أثقلت كاهل الشعب الجزائري ودفعته إلى اليأس والقنوط . إن قادة الجبهة لا يجهلون بأن الشعب فقير وعليه أن يعمل كل الأيام ليعيش ويدعم الثورة . وما ضاعف من الصعوبات هي طول مدة الإضراب , فهل تسعى الجبهة للتغطية على فشلها أم ترد على اعتقال القادة الخمس وفشل مؤتمر تونس أم تحاول إثبات قوتها بأنها المحاور الوحيد أمام الرأي العام الدولي ؟" [39]
وتضيف الوثيقة " لقد أعلنت الجبهة الإضراب قبل شهر من انطلاقه مما سمح للحكومة الفرنسية بتحضير كل الوسائل لإفشال الإضراب , وتعيين الجنرال ماسو لهذا الغرض والذي منحته الحكومة الفرنسية كل الصلاحيات الخاصة بالشرطة وأصبح القائد الأعلى لمدينة الجزائر وضواحيها , في استعداد تام وهادئ بالإضافة إلى تأجيل هيئة الأمم جلستها عدة مرات , مما أعطى فرصة إضافية للاستعمار للاستعداد أكثر , وكل هذه المخاطر لم تلفت انتباه الجبهة لاتخاذ تدابير احترازية لتجنيب كل فئات الشعب مخاطر القمع , التوقيف , السجن والتعذيب وسلب المحلات , ويمكن أن يكون الإضراب ناجحا لو كانت مدته 24 ساعة ومنذ[40] ذلك الإضراب دخلت الجبهة في حالة من اليأس والتآكل وأصبحت لعبة في يد الحزب الشيوعي الجزائري [41] الذي يدفعها إلى أفعال يقطف ثمارها هو في الأخير"[42] .

حملت الحركة المصالية صراحة كلا من جهة التحرير والحزب الشيوعي الجزائر مسؤولية التبعات الخطيرة للإضراب وهو ما أشرنا إليه سابقا من ان الحزب الشيوعي الجزائري كان طرفا غير مباشر في حركة الإضراب إلا انه هو الأخر تبرأ من ذلك وألقى بالعتاب والمسؤولية على جهة التحرير , فهل أن الحزب الشيوعي تآمر على الجبهة ودفعها إلى المغامرة لتحصد النتائج المرة و لينتقم منها عندما أسست جبهة التحرير الاتحاد العام للعمال الجزائريين موازي للاتحاد العام للنقابات الجزائرية (UGSA) النقابة الشيوعية الجزائرية والتي أحس حينها الحزب الشيوعي الجزائري بأنها طعنة في الظهر آم هي عقيدة الحزب في أن النصر منوط بالقطب الشيوعي ومساعيه في الأمم المتحدة ؟ كما ان المصالية أرادت ان تظهر بوجه القيادة الحكيمة التي تأخذ في الاعتبار الموازنة بين المكاسب والمخاطر قبل اي قرار سياسي ولا يمكن تحت أي مبرر دفع كل فئات الشعب الجزائري إلى المغامرة والمجهول وتدمير المكاسب السابقة التي تحققت بكلفة مرتفعة .

واصلت الحركة المصالية نقدها الموجع لجبهة التحرير وتصفها بأنها جماعة من الشيوعيين المتهورين الذين يدفعون بالغلابى من الشعب إلى التهلكة ويستفيد الانتهازيون منهم من مكاسب سياسية في موقف غير موفق ولا يمت بصلة لحقيقة الأوضاع , معبئة أنصارها وصحفها بمفردات لاذعة لثني غريمها السياسي والعسكري عن الكفاح , إلا أنها جانبت الحقيقة في بعض المآخذ المرتبطة بطول المدة وواقع الشعب الجزائري المعيش وتمكين المستعمر من الاستعداد المادي والمعنوي للقضاء على حركة الإضراب الشعبي , الأمر الذي جعل التكلفة ثقيلة على مسار الثورة و أثر سلبا على عمل أجهزتها السياسية والعسكرية في الداخل و ترتب عنه قمع أعمى وشامل . هذا ما جعل وتيرة الإضراب وحماسها يتراجعان نسبيا بين الجزائريين .

يؤكد تقرير الشرطة عن حركة الإضراب الذي دعت إليه الجبهة في 05-07-1958 حيث لم يلتزم به العمال والتجار والحرفيون الجزائريون وزاولوا نشاطهم بشكل عادي في القطاعات المهنية والأسواق والإدارات والموانئ ويختم التقرير بأن الإضراب كان فاشلا 100 % وخيب دعاته في اعتراض الأثر السيكولوجي الذي تولد منذ 13-05-1958 [43] الذي يعني حسبه عودة السلطة والقبضة الحديدية للمتطرفين من دعاة الجزائر الفرنسية بزعامة شارل دوغول , وستدخل الثورة في عهد القيادة الفرنسية الجديدة مرحلة الحسم وكسر العظم في الداخل والخارج , وخاصة بعد تفكك القيادة الداخلية وخروجها من الجزائر , وهو ما يتطلب جهودا مضاعفة لاستجماع القوى الحية من جديد , استعدادا لمواجهة مشروع الجمهورية الفرنسية الخامسة الخطير 1959-1962 بكل الأبعاد .

الخاتمة :

لا يمكن في الحرب الكلاسيكية التكهن بتأكيد النصر بين قوتين متصارعتين , إذ تبقى فرص الانتصار والفشل متقاربة جدا بينهما , وإذا ما قارنا ذلك بين القوة الفرنسية وقوة جيش التحرير في معركة الجزائر وإضراب الثمانية أيام 1957 , فإننا نميل في ترجيحنا لنجاح الاستعمار الفرنسي الذي يملك ترسانة عسكرية عصرية ونخبة عسكرية كفأه على حساب الجيش الجزائري الضعيف التسليح والإمكانات المادية والمالية لكنه قوي الإرادة التي تدعمها عدالة القضية , التي جعلت الجزائريين يكابدون الألم لسحق الاستعمار , بنقل الرعب إلى غلاة المستوطنين وأعوانهم في المدن الحضرية وتغيير معادلة الرعب ميدانيا , وعليه استطعنا التوصل إلى النتائج التالية :

أ- الأهداف الآجلة للجنة التنسيق والتنفيذ من إعلان الإضراب :

1-إدراك قيادة الثورة في الداخل أن نجاح الثورة يرتكز أساسا بتعميقها وتوسيعها وإدخالها إلى المدن حيث تتواجد كثافة سكانية من كل الطبقات الاجتماعية تكون درعا وقاعدة خلفية للثوار والعمل الثوري , أفضل من البقاء منعزلة في الأرياف حيث يسهل على المستعمر تحييد الجزائريين عسكريين كانوا أو مدنيين وإبادتهم عن بكرة أبيهم بدم بارد .

2- استقطاب وتوظيف عناصر جزائرية تعمل بمؤسسات مهنية فرنسية , كأداة مهمة للاستعلام لتمكين جيش وجبهة التحرير من إمكانات لوجستيكية ضرورية للعمل الثوري : كالمعلومات والأدوية والألبسة والأغطية والاشتراكات وآلة الرقن والطباعة لكتابة ونسخ المناشير وتوزيعها داخل المؤسسات المهنية وتعليقها على الجدران , لشد انتباه السكان بمدى قوة انتشار جيش التحرير .

3- استمالة إعلاميين ومثقفين أوربيين معادين للحرب الدائرة في الجزائر بغرض فضح الإعلام الفرنسي المزيف للحقائق الميدانية والتغطية على فشل سياسة الأرض المحروقة والخسائر التي تتكبدها فرنسا يوميا ماديا وماليا وبشريا حتى لا تكشف الحقائق لأسر الجنود ودفعهم الى الاعتراض على سياسة الإبادة التي ينفذها أبناؤهم في الجزائر

4-قوة القمع التي شنها الجيش الفرنسي وتدشين عمليات الاختطاف والاعتقال العشوائي والتعذيب المعمم , ورط الإدارة الفرنسية في معركة دولية حول حقوق الإنسان وخرقها للقانون الدولي واتفاقيات جنيف ذات الصلة .

ب-الأهداف العاجلة وغير المتوقعة :

1-الاستعجال في تنظيم عصيان مدني في شكل إضراب سياسي دون استجماع الشروط الموضوعية لإنجاحه, تكون عملا تهوريا يرمي بظلاله على ثقل الحصيلة في كل المستويات منها البشرية والإطارات داخل التنظيمات الجماهيرية والأفواج الفدائية وحتى من لجنة التنسيق والتنفيذ (القبض على العربي بن مهيدي)وهذا سيكون له وقع مؤلم على نفوس الجزائريين .

2- الاعتماد على المعطى الدولي المرتبط بتاريخ انعقاد جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة , التي تأجلت عدة مرات واجل معها موعد إعلان الإضراب الثوري , مما أربك النفوس وثبط العزائم في مدينة الجزائر والمدن الأخرى وهذه الأخيرة ارتبط تاريخ إعلانها الإضراب عندما تسمع ذلك على أمواج الإذاعة التي لايمكن الاعتماد عليها الوثوق بها بعد الاختراقات وانشاء اذاعات مناوئة , لان التاريخ المحدد سابقا تغير بالتزامن مع تأجيل جلسة الجمعية العامة .

3-طول مدة الإضراب , كان قرارا صعبا , في اكبر المدن حيوية وكثافة سكانية ونشاط اقتصادي , تمتزج فيه المصالح وتتشابك فيه العلاقات , جعل الجنرال ماسو وفرقة المضليين العاشرة ينتقم بحرية ويستبيح الجزائريين في أرزاقهم وحياتهم لتوجيه حركة الشعور والتضامن الشعبي نحو الانكفاء وهذا ما انعكس سلبا على مبدأ التكافل بين أفراد الشعب واسر الشهداء وبين الجماهير الشعبية وجبهة وجيش التحرير الوطني ولو لفترة مؤقتة , وقد يتطلب وقتا لاندمال الجروح واستعادة عافيتها .

واستنتاجا لما سبق , ستعمد قيادة الثورة إلى استحضار المزايا والمساوئ التي ترتبت عن الإضراب الثوري 1957, في تقدير قوة الخصم وتوفير الظروف و إعداد الإمكانات لأية عملية واسعة تشترك فيها الجماهير مستقبلا , وهو ما جعلها تدخل تعديلا جوهريا في الثورات الحضرية لاحقا , باستبعاد أسلوب الإضراب الثوري والعصيان المدني واقتصر عملها على

المظاهرات السياسية في المدن في مناسبات مهمة للدعم الدبلوماسي واستحكام القبضة في المشاركة والتنظيم والتاطير دون التفريط في ترك الجماهير عرضة للمساومة لجهات مغرضة .

الهوامش :

1Boualem Bourouiba , Les syndicalistes algériens , leur combat de l'éveil à la libération nationale 1936- 1962 , co-édition Dahleb- ENAG ,Alger, 2001 , p 288
2 Mahfoud kaddache , Et l'Algérie se libera 1954-1962 , édition EDIF , Paris , 2000 , p 90 .
3 Gilbert Mynier , Histoire intérieure du FLN 1954-1962 , édition Casbah , Alger, 2003 , p 525.
4 Boualem Bourouiba , op cit , p 274 .
5 Stora et Renaud Rochebrune ,La guerre d'Algérie vue par les algériens des origines à la bataille d'Alger , ed/ DENOEL ,Paris ,2012 , p 309 .
67Mohamed Harbi et Gilbert Mynier , Le FLN – documents et histoire 1954-1962 , édition Casbah , Alger, 2004 , p 695
7 Stora et Renaud Rochebrune , op cit , p 312 .

8 جيلالي تكران . الصحة في الولاية الرابعة التاريخية , إمكانيات وتنظيم 1954-1962 , رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر , جامعة الجزائر, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية , قسم التاريخ , 2007 , ص 50

9 أحسن بومالي , أدوات الدبلوماسية اثناء الثورة التحريرية , مجلة المصادر , العدد 16 , 2007 , ص 90 .

10 جيلالي تكران , مرجع سابق , ص 51 .

11 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 , شهادة جيلاني مبارك أمين وطني لـ: إ.ع.ع.ج.

12 محفوظ زفوني : ولد في 30-11-1929 بالعاصمة انضم الى حزب الشعب سنة 1945 , والى ك.ع.ش بمؤسسة التبغ (باستوس) وعضوا في المنظمة الخاصة كما انشا خلية داخل مؤسسة عملة تابعة للجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية ضد خلية الحزب الشيوعي الجزائري وشارك في وفد الجزائر في بوخارست 1953 رفقة نسيمة حبلال وشارك في ميلاد إ.ع.ع.ج والتي اصبح عضوا في امانتها الثالثة والرابعة التي شكلت لجنة اضراب 8 ايام وساهم في اعداد المناشير والبيانت الداعية الى الإضراب , غادر الجزائر بعد ارهاب المنظمة العسكرية السرية نحو تونس 1961 وتم تحييده من طرف علي يحي عبد النور الى ان غادر مريضا باتجاه تشيكو سلوفاكيا وبراغ انظر :
René Gallissot Algérie colonisée ,Algérie algérienne 1870-1962 , la republique française et les indigènes , édition Barzakh , Alger , 2007 , p 600

13 محمد فارس , أبحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية , جذورها , تطورها , مراحلها حتى 1962 , مجلة من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) , ط1 , الجزائر , 1989 , ص 152 .

14 Stora et Renaud , op cit , p 318 .
15Boualem Bourouiba , op cit , p 282 .
16 Benyoucef Benkhedda , Alger capitale de la Resistance 1956-1957 , édition Houma , Alger , 2002 , p 135 .
17Boualem Bourouiba , op cit , p 279 .
18 Mahfoud kaddache , op cit , p 91 .
19 Boualem Bourouiba , op cit , p 231 .

20 محمد فارس , مصدر سابق , ص 152 .

21 جيلالي تكران , مرجع سابق , ص 51 .

22Stora et Rénaud , op cit , p 320 .
23 Pierre Pélissier , La bataille d'Alger , Perrin , Paris , 2012 , p 105 .
24 Ibid , p 107 .

25 لا نعلم أي وفاق كان قائما بين المجتمعين في ظل التفاوت الاقتصادي والاجتماعي والتمايز الحضاري بين الجزائريين والأوربيين مع العلم ان هؤلاء كانوا سندا للجيش في مطاردة المدنيين الجزائريين العزل وان التصادم كان واقعا محتوما لا مفر منه .

26 بن يوسف بن خدة , شهادات ومواقف , شركة دار الأمة , الطبعة الأولى , الجزائر , 2007 , ص. ص 123 - 125 .

27 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية .,, مرجع سابق , قرص مضغوط .

28 Boualem Bourouiba , op cit , p 283 .

29أحسن بومالي , مرجع سابق , ص 93 .

30 بن يوسف بن خدة , مرجع سابق , ص 126 .

31 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 , شهادة امحمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية , قرص مضغوط .

32 Pierre Pélissier , La bataille d'Alger , Perrin , Paris , 2010 , p 100 .

33 محمد سعودي , صور عن كفاح عمال ميناء الجزائر ... ودور النقابة في الثورة التحريرية , حوار مع مصطفى زيتوني , من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية , مجلة UGTA , ط1 , الجزائر , 1989 , ص 71 .

34 محمد شناف : ولد في 02-09-1934 بالاغواط , بعد تعلمه القران ومزاولة الابتدائي والثانوي دخل شركة الغاز والكهرباء وانضم الى ك.ع.ش مع مواصلة دراسات قانونية بالتوازي , شارك في نشأة إ.ع.ع.ج وأصبح في نهاية 1956 احد أعضاء الأمانة الثالثة السرية وعضو لجنة إضراب 8 ايام مكلف بإرسال التقارير وبعد الإضراب شارك في الأمانة الخامسة وفي مارس 1957 أصبح مندوبا لدى الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة لإخطار مسؤوليها بالقمع المطبق ضد الجزائريين وبعودته أوقف من طرف المظليين بالعاصمة الجزائر وادخل السجن وعذب واستنطق وشلت يداه متنقلا من سجن لأخر الى غاية 26-08-1960 ثم نقل سرا الى تونس للالتحاق بمندوبية الاتحاد الخارجية بتونس وعين 1961 مندوبا عاما للعمال بالمغرب وعكف على تحضير برنامج الإصلاح الزراعي في الجزائر . انظر :

René Gallissot , Algérie , Engagements sociaux et question nationale , dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb , barzakh ,Alger , 2007 , p 217

35Boualem Bourouiba , op cit , p 299 .

36 محمد فارس , مصدر سابق , ص 153 .

37 El Moudjahid , 2 eme Anniversaire de l' UGTA ,No 19 , 28-02-1958 , p 357 .

38Stora et Renaud , op cit , p 324 .

39 Mohamed Harbi , Les archives de la révolution algérienne , édition Dahleb ,Alger ; 2010 , p 143 .

40 وهي المدة التي دعت إليها النقابة المصالية الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين (USTA) في المهجر وترى ان ذلك كاف للضغط على السلطات ولفت انتباه الرأي العام الفرنسي و الدولي .

41 ظلت الحركة المصالية متمسكة بنعت الجبهة بالشيوعية منذ التحالف بين FLN-PCA 01-07-1956 ورغم قبول UGTA في CISL التي تعتبر احد أقطاب الغرب وغم إدانة الحزب الشيوعي الجزائري لإضراب الثمانية أيام 1957 إلا أن المصالية لم تتخل عن ذلك بهدف تحريض الدول الغربية على الجبهة وتتقرب هي من المعسكر الرأسمالي .

42 Mohamed Harbi , op cit , p 143 .

43 CAOM, FLN 1954-1961 , 7G/ 1198 .